

النَّارُ

عناصر الموضوع

١٦٨	مفهوم النار
١٦٩	النار في الاستعمال القرآني
١٧٠	الألفاظ ذات الصلة
١٧٢	أسماء النار وصفاتها
١٨٩	ألوان العذاب في النار
١٩٧	سبل الوقاية من النار
٢٠٥	أسباب دخول النار

مفهوم النار

أولاً: المعنى اللغوي:

النار: «النون والواو والراء، أصلٌ صحيحٌ يدل على إضاءةٍ واضطرابٍ وقلة ثباتٍ، ومنه النور والنار، سميا بذلك من طريقة الإضاءة؛ ولأن ذلك يكون مضطرباً سريع الحركة»^(١).
 ونار نورًا وأنار واستنار ونور، بمعنى واحدٍ، أي: أضاء، والتنوير: الإضاءة، يقال: نورت الشجرة تنويرًا، وأنارت: أي: أخرجت نورها. والنار مؤنثةٌ وهي من الواو؛ لأن تصغيرها نويرةٌ، وجمع النار على (أنيارٍ)، وأصلها (أنوارٌ)؛ لأنها من الواو، و(نورٌ) و(نيرانٌ) انقلبت الواو ياءً لكسرة ما قبلها، و(نيرةٌ)، و(نيارٌ)، وبينهم (نائرةٌ) أي: عداوةٌ وشحناء، وتنور النار من بعيد: تبصرها^(٢). ونار الحرب ونائرتها: شرها وهيجها. ونرته وأنرته: نفرته، وامرأة نوار: نافرة عن الشر والقبیح^(٣).

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

قيل: «الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب به أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه المجرمين، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه»^(٤).
 وقيل: «هي دار العذاب والإهانة، أعدها الله لأعدائه الكافرين الذين كفروا به وعصوا رسله»^(٥).

وهذه أقوال وتعريف متقاربة، وبينهما نوع اشتراك في بعض، وعلاقة المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي ظاهر في الإضاءة.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٦٨/٥.

(٢) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٣٢١، المصباح المنير، الفيومي ٢/ ٦٢٩، لسان العرب، ابن منظور ٤٨٨ - ٢٤٠ - ٢٤٢، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ١/ ٤٨٨.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٥/ ١٢٦.

(٤) الجنة والنار، عمر الأشقر ص ١١.

(٥) رسالة في أسس العقيدة، محمد السعوي ص ٧٤.

النار في الاستعمال القرآني

وردت مادة (نور) في القرآن الكريم (١٩٤) مرة، يخص موضوع البحث منها (١٤٥) مرة^(١).

والصبيغ التي وردت، هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الاسم	١٤٥	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]

وجاءت النار في الاستعمال القرآني على ستة أوجه^(٢):

الأول: العداوة: ومنه قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْ قَدُونًا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] يعني: عداوة.

الثاني: الحرام: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] يعني: حرامًا.

الثالث: جهنم: ومنه قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

الرابع: الكفر: ومنه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٢١] أي: إلى الكفر بالله.

الخامس: النار التي لا دخان لها تنزل من السماء فتأكل القربان: ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ

يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣] يعني: بنار تأكل القربان.

السادس: النار المعروفة: ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١]

يعني: النار التي تقدحون من الزند.

(١) انظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبد الله جلغوم، باب النون، ص ١٣٥٢-١٣٥٥.

(٢) انظر: الوجوه والنظائر، الدماغي، ص ٤٣٩-٤٤٠.

الألفاظ ذات الصلة

١ جهنم:

جهنم لغةً:

اسم من أسماء النار التي يعذب بها الله عز وجل عباده، وهو ملحق بالخماسي بتشديد الحرف الثالث منه، ولا يجري للمعرفة والتأنيث، ويقال: هو فارسي معرب^(١).
وجهنم: من الجهنام، بئر جهنم وجهنام، بكسر الجيم والهاء: أي: بعيدة القعر، وبه سميت جهنم لبعدها، ولم يقولوا: جهنم فيها^(٢).

جهنم اصطلاحًا:

جهنم: «اسم النار الآخرة، من الجهامة، وهي كراهة المنظر»^(٣).

الصلة بين النار وجهنم:

النار: هي الملتهبة الحارقة، وأما جهنم: اسم من أسماء النار فيفيد من قولك: بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر^(٤).

٢ اللهب:

اللهب لغةً:

اللام والهاء والباء أصل صحيح، وهو ارتفاع لسان النار، ثم يقاس عليه ما يقاربه، من ذلك اللهب: لهب النار، تقول: التهببت التهابا، وكل شيء ارتفع ضوءه ولمع لمعانًا شديدًا فإنه يقال فيه ذلك، واللهب واللهاب: اشتعال النار^(٥).

اللهب اصطلاحًا:

«اشتعال النار إذا خلص من الدخان»^(٦).

الصلة بين النار واللهب:

النار: هي المشتعلة بحد ذاتها، واللهب: ما يظهر ويمكن رؤيته بوضوح عند اشتعال النار.

- (١) انظر: الصحاح، الجوهري ٥/ ١٨٩٢، شمس العلوم، نشوان الحميري ٢/ ١٢٠١، مختار الصحاح، الرازي ص ٦٣.
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ١١٢.
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ١٢٣.
(٤) انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ص ٣١١.
(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٢١٣.
(٦) لسان العرب، ابن منظور ١/ ٧٤٣.

الإضاءة لغةً:

ضوء: الضاد والواو والهمزة أصل صحيح يدل على نور، من ذلك: الضوء، وهو بمعنى: الضياء والنور، قيل: أضاءت النار وأضاءت غيرها^(١).

الإضاءة اصطلاحاً:

«فرط الإنارة، من الضوء الذي هو النور البالغ القوي»^(٢).

الصلة بين النار والضوء:

النار: لا بد من اشتعالها حتى تنتج عنها الإضاءة، أما الضوء فهو فرع النور، وهو الشعاع المنتشر.

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٣٧٥.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص ٥٤.
وانظر: الكليات، الكفوي ص ١٣٧.

أسماء النار وصفاتها

تحدث القرآن الكريم عن أسماء النار وصفاتها، وهذا ما سنبينه في النقاط الآتية.

أولاً: أسماء النار:

تعددت أسماء النار في القرآن الكريم تعددًا يؤذن بعظم شأنها، وأهمية أمرها، وكثرة أسماء النار توجب على العبد الأخذ بأسباب النجاة منها، وشدة الاحتياط والحذر؛ رغبة في توقي شرها.

وفيما يأتي عرض لما ورد في القرآن من أسماء للنار:

١. لظى.

قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ ۗ (١٥) نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥-١٦].

وهذا الاسم لم يرد إلا في هذه الآية وسميت به لتلظيها وتلهبها^(١) وللزوقها بالجلد، فـ «التلظظ والتلظظة من قولك: حية تتلظظ، وهو تحريك رأسها من شدة اغتياظها، وحية تتلظى من خبثها وتوقدها، والحر يتلظى كأنه يلتهب مثل النار»^(٢).

وهي تسمية تشعر بعظم ما عليه النار من الاشتعال والتوهج والتغيظ، وشدة الإحراق والتلهب.

٢. الحطمة.

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ۗ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ۗ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٤-٦].

وهذا الاسم لم يرد إلا في هاتين الآيتين. وسميت النار بالحطمة؛ لأنها تحطم كل ما ألقى فيها^(٣).

وفي هذه التسمية إشعار بشدة هذه النار وقوتها، وأنه لا يستعصي عليها أحد ولا شيء، فهي كفيلة بتحطيم كل ما يلقى فيها.

٣. السعير.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وهذا الاسم ورد في القرآن معرّفًا ثمان مرات، ومنكرًا سبع مرات.

وسميت بذلك؛ لأنها توقد وتهيج، فهي (فعل) بمعنى (مفعول)^(٤).

وهذا الاسم يدل على شدة اشتعال النار واتقادها وارتفاع ألسنة لهبها، فـ «السين والعين والراء أصل واحد، يدل على اشتعال الشيء واتقاده وارتفاعه»^(٥).

وفي اللفظة إيماء أيضًا لشدة هيجان النار على أهلها، حيث يقال: ناقة مسعورة، نحو

(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ١٠١/٩.

(٤) انظر: المفردات، الراغب ص ٤١١، وإرشاد

العقل السليم، أبو السعود ١٤٨/٢.

(٥) مقاييس اللغة، ابن فارس ٧٥/٣.

(١) انظر: المفردات، الراغب ص ٧٤٠، مفاتيح الغيب، الرازي ٦٤٢/٣٠، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ١١٧٢/١٥.

(٢) انظر: العين، الفراهيدي ١٥١/٨.

موقدة ومهيجة^(١). والسعير: اسم لأشد النار اشتعالًا، يقال: سحر فلان النار: إذا أوقدها بشدة^(٢).

٤. سقر.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨].
ورد هذا الاسم في القرآن أربع مرات. وسميت بذلك؛ لأنها تذيب الأجسام من قولهم: سقرته الشمس إذا أذابته^(٣). وهذه التسمية توحى بشدة إحراق النار، فـ «السين والقاف والراء، أصل يدل على إحراق أو تلويح بنار»^(٤). وفي هذا ما يشعر بهول العذاب، ويسخونة هذه النار، واشتداد حرها الذي لا يحرق فحسب، بل يبلغ من درجة قوته أن يذيب الأجساد، وتتلاشى فيه اللحوم والأبدان.

٥. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٦. الهاوية.
قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَثَمُهُ كَآوِيَةً ﴿٩﴾ وَمَا آذْرُكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ٨-١١].
وهذا الاسم ورد في القرآن مرة واحدة في سورة القارعة.

٧. جهنم.
قال تعالى: ﴿أَقْمِنَ أَتْبَعَ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَحِيطُ، أَبُو حِيَانَ ١/ ٥٧٠.﴾
وهي تسمية تشي بحال المعذبين، وتصور حجم الإذلال والهوان الذي يعانونه ويكابدون، فهي هاوية، يلقي الناس فيها مهانين، فيهوون فيها كما تهوي الحجارة.

٨. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٩. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٠. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١١. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٢. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٣. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٤. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٥. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٦. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٧. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٨. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

١٩. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٠. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢١. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٢. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٣. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٤. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٥. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

٢٦. الجحيم.
قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥].
ورد هذا الاسم في القرآن ثلاثًا وعشرين مرة.

للمصير» [آل عمران: ١٦٢].

وهذا الاسم ورد في القرآن في اثنتين وسبعين موضعاً، وجاء مضافاً إلى النار في تسعة مواضع، وسميت نار الآخرة بجهنم؛ لبعدها ^(١).

وفي هذه التسمية إشعار بعظم هذه النار، وبعدها، ومدى عمقها، وهي تسمية تملأ القلب رعباً والنفس فزعاً، وتستحث العبد نحو فعل ما ينجيه منها.

فائدة المغايرة بين أسماء النار وأوصافها: بالتأمل في أسماء النار وصفاتها ومغايرة القرآن في التعبير عنها بأسماء مختلفة وصفات متنوعة يظهر لنا أن من أسباب تلك المغايرة، وفوائدها:

✽ التأكيد على أهمية الإيمان بها؛ فكثرة ذكرها توجه إلى أهمية الإيمان بها، وأهمية الحذر من عذابها، والاستعداد للنجاة من حرها.

✽ لشدة هولها وفضاعتها؛ إذ المغايرة في أوصافها وأسمائها تعطيها الكثير من المعاني والدلالات التي توحى بشدة هولها، وتظهر مدى فضاعتها.

✽ للإشعار بعظمتها وأهميتها؛ إذ الشيء كلما تعددت أسماؤه وأوصافه دلت على شدة عظمته، وأنه يستعصي على

الحصر والإحاطة بمدلوله؛ ولذا يحتاج لعدد من الأسماء والأوصاف، وفي هذا ما يملأ النفس رهبة منها، وفيه مدعاة لحسن الاستعداد لها على الوجه الأكمل والنحو الأمثل.

الصلة بين هذه الأسماء المتعددة:

للنار عدد من الأسماء، ولكل منها مدلول خاص يظهره، وجانب من جوانب العظمة يبرزه، ووجه من وجوه الشدة يصوره، وهذا لا شك يدل على عظمة النار، وكأن عظمتها مما يعجز الاسم الواحد عن تصويره، والصفة الواحدة عن الإحاطة به - كما مر، فيتحصل من مجموع تلك الأسماء تصور كثير من جوانب عظمتها وهولها.

فاسم (السعير) يصور شدة التوقد، واسم (الحطمة) يبين القوة التي تمكنها من حطم كل ما يلقي فيها، واسم (الهاوية) يرسم صورة لعمقها وبعدها، وهكذا في بقية الأسماء.

ومجموع هذه الأسماء يوقع في حس المتلقي شدة هولها، ويظهر له عظيم خطرها، كما تتكامل أمامه مختلف ألوان عذابها، وترتسم في مخيلته صور المعذبين فيها، وصنوف آلامهم.

وبالتأمل في أسماء النار نجد أن ثمة روابط وقواسم مشتركة، وهي كالآتي:

✽ عظم اشتعالها والتهابها: فهي نار لا

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٥/ ٣٤٩.

وانظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ١٢٢.

اختلف الناس حول بقاء النار في الآخرة وفنائها على أقوال كثيرة، أهمها ثلاثة:

الأول: القول ببقائها، وهو ما عليه جمهور أهل السنة والجماعة، ونقل بعضهم الإجماع عليه.

الثاني: القول بفنائها، وهو محكي عن الجهم بن صفوان وأتباعه وغيرهم، ونسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية^(١).

الثالث: الإمساك عن ذلك^(٢).

وسنعرض أدلة القائلين ببقاء النار، وأدلة القائلين بفنائها، دون الفريق الثالث؛ لأنهم أمسكوا عن الخوض في المسألة.

أدلة القائلين ببقاء النار في الآخرة:

استدل القائلون ببقاء النار بأدلة كثيرة نذكر بعضها بحسب طبيعة البحث، فمنها:

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

(١) والراجح أن نسبه له غير صحيحة، والصحيح عنه القول بأبديتها.

انظر: كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، علي الحربي ص ٥٨.

(٢) انظر في الأقوال الثلاثة: الرد على من قال بفناء الجنة والنار، ابن تيمية ص ٤٢، حادي الأرواح، ابن القيم ص ٣٢٩-٣٣٢، شرح الطحاوية، ابن أبي العز ٢/٦٢٤، فتح الباري، ابن حجر ١١/٤٢١-٤٢٢، كشف الأستار في إبطال قول من قال بفناء النار، الشوكاني ٧٨٩/٢.

تنطفئ لها جذوة، ولا تخبو لها شعلة، ولا يهدأ لها توقد، ولا يبرد لها جمر، فاشتعالها دائم، وتلهبها في تعاضم.

❁ شدة حرها: فحرارتها بلغت الغاية والنهاية حتى بلغ من شدتها أن تذيب اللحوم مهما غلظت، والأبدان مهما قويت واشتدت.

❁ بعد قعرها: فهو قعر شديد البعد لا يعرف له قرار ولا نهاية.

❁ شدة عذابها: فهو عذاب يجمع شتى صور الإيلام، وتتكامل فيه مختلف صنوف الهوان، مما يجعل عذابها لا نظير له ولا مثيل، مهما عظم واشتد.

ثانيًا: فناء النار:

تمثل مسألة (فناء النار وبقائها) أهمية خاصة؛ لما لها من أهمية في تكوين معتقد المسلم؛ ولما لها من تعلقٍ بإيمان المسلم بالآخرة. وذكر الآخرة من الأمور المركزية في القرآن الكريم، وحق لما كان من أمرها أن يدرس ويبحث، ويظهر فيه الحق من الباطل؛ ليكون المسلم في ذلك على بينة من أمره.

وستتناول مسألة (فناء النار) من خلال الاختلاف الواقع فيها، وبيان أدلة المختلفين، ومناقشتها، وذكر الراجح من الأقوال في ذلك.

قال الطبري: «وإنما هذه الآية إخبار من الله عباده عن بقاء النار، وبقاء أهلها فيها»^(١).

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧].

فقد صرحت الآية بكون الكافرين غير خارجين من النار، وأن لهم فيها عذاباً مقيماً لا يخرجون منه، قال القرطبي مبيناً معنى العذاب المقيم: «و﴿مُقِيمٌ﴾ معناه دائم ثابت، لا يزول ولا يحول»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ [فاطر: ٣٦]^(٣).

فالآية مصرحة بكون العذاب لا يخفف عن الكفار، وفي هذا دليل على بقاء النار، وعدم فنائها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جاء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل

(١) جامع البيان، الطبري ٢/ ٢٨٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٦/ ١٥٩.

(٣) شرح الطحاوية، ابن أبي العز ٢/ ٦٢٩، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بقاء النار، الصنعاني ١/ ١١٧.

النار حزناً إلى حزنهم)^(٤).
أدلة من قال بفنائها:

استدل بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِيهَا النَّارَ لَمْ يَفِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾^(٥) ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧].

ووجه الاستدلال من الآية: ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧].

فإنه جعل خلودهم في النار موقوفاً على مشيئته، فهذا يدل على أن عذاب الكفار منقطع، وله نهاية.

الرد على هذا الاستدلال:

أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد، ممن يخرجهم الله من النار بشفاعته الشافعين، كما رجحه بعض المفسرين^(٥).

ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣].

ووجه الدلالة من الآية: أن أهل النار يمكنون فيها أحقاباً، والحقب لها نهاية،

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٨/ ١١٣، رقم ٦٥٤٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ٤/ ٢١٨٩، رقم ٢٨٥٠.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥/ ٤٨١، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٥١-٣٥٢، شرح الطحاوية، ابن أبي العز ص ٤٢٠.

وروى عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن الحسن البصري عند قوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣].

قال: قال عمر رضي الله عنه: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج^(٤) لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه»^(٥).

قال الطبري: قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد؛ وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا»^(٦).

الرد على استدلالهم بهذه الآثار:

الآثار السابقة التي استدلت بها القائلون بفناء النار ضعيفة لا تقوم بها حجة، كما بينا ذلك في الحاشية.

ومما استدلوا به قولهم: إن معصية الظلم متناهية، فالعقاب عليها بما لا يتناهى ظلم^(٧).

مخطوطة المكتب».

(٤) عالج: رمال معروفة بالبادية، وتطلق على ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض. انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣٢٦/٢، معجم البلدان، ياقوت الحموي ٧٠/٤.

(٥) ضعيف: للانقطاع بين الحسن البصري وبين عمر رضي الله عنه. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني ٧٣/٢، رفع الأستار، الصنعاني ص ٦٥ مع تعليق الألباني عليه.

(٦) جامع البيان، الطبري ١٨/١٣. وانظر: الرد على من قال بفناء الجنة والنار ص ٦٩.

(٧) جلاء العينين في محاكمة الأحمديين،

فهذا يدل على أن النار تفتنى، ولا بقاء لها^(١). الرد على هذا الاستدلال:

أن الذي حدد بالأحقاب ليس هو العذاب، بل هو نوع من العذاب، وهو ما جاء بعد هذه الآية من قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [الاحقاف: ٢٤] ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبا: ٢٤-٢٥].^(٢)

روى الطبري بسنده عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَاصْبِرُوا فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

أنه كان يتأول في هذا الاستثناء: «أن الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته»، وقال: «إنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، ولا ينزلهم جنة ولا نارًا»^(٣).

(١) انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز ٦٢٦/٢، رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار، الصنعاني ص ٨٧.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٦٣/٢٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٠٦/٨.

(٣) قال الألباني في تعليقه على رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ص ٧١: «قلت: هذا أثر منقطع، لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع عن ابن عباس، وإن كان معناه صحيحًا، على ما سيبينه المؤلف رحمه الله تعالى، ثم أن في الطريق إليه عبد الله بن صالح، وفيه ضعف، رواه عنه ابن جرير ١٣٨٩٢، وابن أبي حاتم أيضًا كما في تفسير ابن كثير، والأثر في الحادي ١٧٣/٢ غير معزو لابن تيمية صراحة، ولم يذكره الناقل عن ابن تيمية في

الرد على هذا الاستدلال:

أن الله علم في سابق علمه أن الخبث قد تأصل في هؤلاء الخبيثاء، بحيث إنهم لو عذبوا القدر من الزمن الذي عصوا الله فيه، ثم عادوا إلى الدنيا لعادوا لما يستوجبون به العذاب، لا يستطيعون غير ذلك، قال الله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نَرُدُّ وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧- ٢٨]^(١).

الرأي الراجح:

الذي يترجح مما سبق من الأقوال هو القول ببقاء النار في الآخرة، وهو قول جمهور أهل السنة والجماعة؛ لصراحة الأدلة من الآيات والأحاديث، وعدم قوة الأدلة التي استدلت بها المعارضون.

ومن قرأ ما كتبه ابن القيم رحمه الله تعالى يظن أنه يرجح أن النار تفتنى، وأن أهلها يخرجون منها، لكن في الحقيقة أن ابن القيم رحمه الله تعالى يكاد يميل إلى التوقف؛ لأنه بعد أن ذكر الخلاف الطويل، وذكر الأقوال في ذلك والأدلة، قال: «فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسألة؛ ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب؛ فإن قيل: فإلى أين أنتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة

الألوسي ص ٤٧٩.

(١) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بقاء النار، الصنعاني ص ١٢٦.

الشأن التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فيها، حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء، وقال: ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، بل وإلى ها هنا انتهت أقدام الخلائق^(٢).

ثالثاً: عظم النار وشدة حرها:

١. عظم النار.

النار مخلوق من مخلوقات الله عز وجل العظيمة، التي يذهب العقل في تصور عظمتها وسعتها كل مذهب، ويتتاب القلب الحي خوفٌ ووجلٌ مما يرد عليه من وصفها في القرآن والسنة، وقد أفصحت الآيات والأحاديث عن ذلك إفصاحاً يزجر كل من كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد، ويمكن أن نستلمح شيئاً من عظمتها من خلال ما يأتي:

١. عظمة خالقها.

الحديث عن عظم النار له أصل يقوم عليه، وهو أن الذي خلقها هو الله، وهذا هو الأصل الذي من عقله وانتفع به انتفع بوصف الله للنار، وذكره لأهوالها وحرها

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٣٨٧.

وعذابها، ومن غفل عنه فلن يقوم في قلبه خوفٌ ولا فزعٌ من النار وأهوالها وعذابها، فالخوف من النار في حقيقته خوفٌ من خالقها، وتعظيم له وتقديس؛ وذلك هو أعظم ما يطبع النفس بطابع الفرع من النار، ويلقى في أعماقها الخوف الرهيب من النار، والفرار الجاد عن مسالكها.

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن مؤكدة لتلك الحقيقة الكبرى، حقيقة أن الذي خلق النار وأعدّها للظالمين هو الله، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦].

وغير ذلك من الآيات.

٢. سعتها.

الحديث عن سعة النار في القرآن حديث يطول، ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الآيات والأحاديث التي تبين عظمتها وعمقها واتساعها بما يتناسب مع البحث، من خلال عدة عناصر على النحو الآتي:

جهنم تطلب المزيد:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي

سعة قعرها وشدة عمقها:

مما يدل على عظم جهنم وسعتها ما أخبر به رب العالمين بقوله: ﴿فَأَمَّا حَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩].

وسميت النار حاوية؛ لأن أهلها يهوون فيها مع بعد قعرها^(١)، وهذا الوصف لجهنم يبين لنا أن هذه النار عميقة القعر لا يعرف لها قرار ولا نهاية، يهوي أهل النار فيها مهوى بعيداً.

وقر هذه النار يتبين لنا إذا علمنا أن الحجر إذا ألقى فيها احتاج إلى فترة زمنية طويلة حتى يصل إلى قعرها، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ٢١٨٨/٤، رقم ٢٨٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٠٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٠/١٦٧.

للزمام الواحد سبعين ألف ملك، وهو دليل على أن الزمام الواحد متعلق بشيء عظيم يحتاج إلى آلاف من الملائكة حتى يجروه. وإضافة إلى ما ذكر فإن من يتأمل هذه الآية يجد أنها جاءت في سياق التهويل لموقف القيامة، وتوضيح مشاهد الرعب والفرع فيه، حيث: ذك الأرض، ومجيء الرب، واصطفاف الملائكة، ثم مجيء جهنم.

وهذا يوحي لنا أن مجرد حضور النار ورؤيتها لهو هولٌ من أهوال هذا الموقف، فكيف بهول السوق إليها ودخولها؟! ٣. جسر جهنم.

عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: (على جسر جهنم) (٤).

فسبحان الله العظيم! إذا كان جسر جهنم

وسلم، إذ سمع وجبة (١)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (تدرون ما هذا؟) قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: (هذا حجرٌ رمي به في النار منذ سبعين خريفاً، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها) (٢).

فما أعظم هذه النار التي احتاج حجر سبعين خريفاً حتى انتهى إلى قعرها! جهنم تجر ولا تحمل:

جهنم لعظمتها وشدة اتساعها تجر ولا تحمل، فقد بين الله عز وجل أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة إلى أرض المحشر، فقال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ جَهَنَّمَ﴾ [الفجر: ٢٣].

وهذا المجيء بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم كيفيته، فقال: (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) (٣). ثم قرأ الآية.

وإثارة (يجرونها) دون (يحملونها) أو غيره من الألفاظ، ليدل على عظم جهنم ومدى اتساعها؛ إذ من المعلوم أن الشيء كلما عظم واتسع صعب حمله فيجر.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن

(١) الوجبة: صوت سقوط الشيء.

انظر: النهاية، ابن الأثير ١٥٤/٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم ٤/٢١٨٤، رقم ٢٨٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، ٤/٢١٨٤، رقم ٢٨٤٢.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، ٣٤٩/٤١، رقم ٢٤٨٥٦، والترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر، ٥/٣٧٢، رقم ٣٢٤١. قال الترمذي: «هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه». وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٤/٢.

مَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ شِدَّةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَيَكْفَى لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنْ غَلِظَتْهُمْ وَشَدَّتْهُمْ بَلِغَتِ الْغَايَةَ فِي الْغَلِظَةِ وَالشَّدَةِ أَنْ اللَّهُ هُوَ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِذَلِكَ الْوَصْفِ، وَأَنْهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، بَلْ يَبَادِرُونَ إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، فَغَلِظَتْهُمْ وَشَدَّتْهُمْ عَلَى الْعِصَاةِ هِيَ فِي حَقِيقَتِهَا تَنْفِيزُ وَامْتِثَالُ وَإِذْعَانٌ لِلَّهِ. ٤. وَقُودُهَا.

إِنَّ هَذِهِ النَّارَ لَيْسَ وَقُودُهَا الْحَطَبُ وَالخَشْبُ كَحَالِ وَقُودِ نَارِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

«إِنَّهَا نَارٌ فَظِيعةٌ مُتَسَعِرَةٌ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، النَّاسُ فِيهَا كَالْحِجَارَةِ سِوَاءٍ فِي مَهَانَةِ الْحِجَارَةِ، وَفِي رِخْصِ الْحِجَارَةِ، وَفِي قَذْفِ الْحِجَارَةِ، دُونَ اعْتِبَارِ وَلَا عِنَايَةَ، وَمَا أَفْظَعُهَا نَارًا هَذِهِ الَّتِي تُوقَدُ بِالْحِجَارَةِ! وَمَا أَشَدَّهُ عَذَابًا هَذَا الَّذِي يَجْمَعُ إِلَى شِدَّةِ اللَّذْعِ الْمَهَانَةِ وَالْحَقَارَةِ!»^(٢).

وهذه الحجارة التي تكون في جهنم ليست كأبي حجارة، فقد ورد عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما أن المراد بالحجارة حجارة الكبريت توقد بها النار، ويقال: «إن فيها خمسة أنواع من العذاب ليس في غيرها من الحجارة: سرعة الإيقاد، وثنن الرائحة،

قد اتسع لحمل الناس جميعًا، فكيف بجهنم نفسها؟! ٤. سرادقها.

وصف الله تعالى جهنم بأن لها سرادقًا، قال الله عز وجل: ﴿أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

والسرادق «هو كل ما أحاط بشيء من حائط، أو مضرب، أو خباء»^(١).

وقد بين الله تعالى عظم هذا السرادق، فوصفه بأنه يحيط بأهل النار على كثرة عددهم، وضخامة حجمهم، فلا يستطيعون خروجًا ولا فرارًا.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩].

٥. خزنتها. أخبر الله تعالى أن النار لعظمها تقوم عليها ملائكة ووصفهم الله عز وجل بالغلظة والشدة.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَاطَّةٌ سِدَادًا لَا يَبْصُرُونَ اللَّهَ﴾ [التحريم: ٦].

هؤلاء الخزنة من شدتهم وغلظتهم أن قلوبهم لا تلين لكافرٍ ولا ظالم، فحين يشتد العذاب بالمجرمين في النار، ويضجون منه ينادون: ﴿وَنَادَوْا يَا مَلَكُ اللَّهِ إِنَّمَا نَعْبُدُكَ فَآتِنَا زَكَاةً وَسَدِّدْ أَعْيُنَنَا مِنَ النَّارِ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فيجيهم مالك مقنطًا: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٦/٣٦١٨.

(١) النهاية، ابن الأثير ٢/٣٥٩.

في الدهن، إنه شرر عظيم، غير مألوف لنا نحن البشر، شررٌ عظيم بقدر عظمة جهنم.

٢. شدة حرها.

جاء الإخبار عن حر النار وشدته وأثره الشديد في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى، فمن ذلك:

• أنها حامية: قال تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا

حَامِيَةً﴾ [الغاشية: ٤]. وفي هذا مزيد

تخويف وترهيب؛ يقول ابن عاشور

رحمه الله: «وصف النار بـ ﴿حَامِيَةً﴾

لإفادة تجاوز حرها المقدار المعروف؛

لأن الحمي من لوازم ماهية النار، فلما

وصفت بـ ﴿حَامِيَةً﴾ كان دالاً على

شدة الحمي. قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ

الْمُوقَدَّةُ﴾ [الهمزة: ٦]»^(٥).

• أنها تظلي: قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ

نَارًا تَلْقَى﴾ [الليل: ١٤]. أي: «توهج

وتتوقد»^(٦). فلا يخمد لهيبتها، ولا تهدأ

نارها.

• أنها نزاعة للشوى: قال تعالى: ﴿نَزَاعَةً

لِلشَّوَى﴾ [المعارج: ١٦]. وفيه تفضيع

لشدة حرها، فهي «تنزع بشدة حرها

جلدة الرأس وسائر أطراف البدن»^(٧).

قال مقاتل: «تنزع النار الهامة»^(٨)

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٢٩٦.

(٦) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ٥/٣٣٦.

(٧) التفسير الميسر ص ٥٦٩.

(٨) الهامة: أعلى الرأس، وفيه الناصية.

وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا أحميت»^(١).

وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ

يقول: (ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزءاً

من سبعين جزءاً من حر جهنم) قالوا: (والله

إن كانت لكافيةً يا رسول الله)، قال: (فإنها

فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً، كلها مثل

حرها)^(٢).

٧. شررها.

من أعجب ما يمكن الاستدلال به

على عظم النار ما جاء وصفاً لأدق ما فيها

وهو الشرر، يقول تعالى عن جهنم: ﴿إِنَّهَا

تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ۖ كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفْرٌ﴾

[المرسلات: ٣٢-٣٣].

فهذا وصف الشرر الذي هو أدق النار

وأصغرها، يوضح لنا ربنا صفته فيبين أنه

في عظمته كالقصر، أي: «كالبناء المشيد

في العظم والارتفاع»^(٣) وأنه في هيئته ولونه

وتابعه كـ ﴿جَمَلٌ صُفْرٌ﴾ أي: «إبل سود

يميل لونها إلى الصفرة»^(٤)، فهو إذاً ليس

الشرر المتبادر ذكره، أو المستحضرة صورته

(١) جامع البيان، الطبري ١/٣٨١-٣٨٢، تفسير

القرآن العظيم، ابن كثير ١/٢٠١-٢٠٢،

التخويف من النار، ابن رجب ص ١٣٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة

وصفة نعمها وأهلها، باب في شدة حر نار

جهنم، ٤/٢١٨٤، رقم ٢٨٤٣.

(٣) التفسير الميسر ص ٥٨١.

(٤) المصدر السابق.

[الفرقان: ١٢].

❖ أنها تشهق فتزعج أهل النار وترعبهم. قال تعالى: ﴿إِذَا الْقَوُوفُ سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ [الملك: ٧]. وشهيقها مزعج منكر مؤذن بغضبٍ شديد، وعذابٍ أليم.

❖ أنها تغلي من شدة الحر غيظًا على الكافرين. قال تعالى: ﴿إِذَا الْقَوُوفُ سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٧-٨].

❖ النار لراحة للبشر: تحرق الجلود وتغيرها من شدة حرها. قال تعالى: ﴿لَوَاةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]. أي: «مغيرة للبشرة، مسودة للجلود، محرقة لها»^(٥).

❖ جهنم هواؤها سموم، وظلها يحموم، وماؤها حميم^(٦). قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَجَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤]. «فهواؤها الذي يهب عليهم سموم، وماؤها الذي

والأطراف، فلا تترك لحمًا ولا جلدًا إلا أحرقتة»^(١). وقال الفراهي في مفرداته: ﴿نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ واختلفوا في معناه، ولكن المعنى الكثير الوقوع في كلام العرب هو لحم الساق»^(٢).

❖ أنها: ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨]. أي: «لا تبقى لحمًا، ولا تترك عظمًا، ولا عصبًا إلا أحرقتة»^(٣)، ثم يعود كما كان ويستأنف أهل النار العذاب.

❖ أنها موقدة: قال تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: ٦]. وهو وصف

يشي بأنها نار «لا تزال تلتهب ولا يزول لهيبها»^(٤). وهو وصف فيه تئيس من فرج، أو خلاص، أو راحة من العذاب.

❖ أنها تحرق الجسد كله حتى تصل إلى فؤاد الإنسان فتحرقه. قال تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفِتَةِ﴾ [الهمزة: ٧]. والفؤاد أرق شيء في الإنسان وألطفه، فحين تصله النار فتحرقه يتضاعف العذاب، ويشند الألم.

❖ أنها تنغيظ وتزفر حنقًا على الكافرين والمجرمين. قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾

(٥) التفسير الميسر ص ٥٧٦.

(٦) السموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، والحموم: دخان أسود شديد السواد، والحميم: ماء متناهي الحرارة.

انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٧/ ٢١٣، محاسن التأويل، القاسمي ٩/ ١٢٤.

انظر: تهذيب اللغة، الأزهري ٦/ ٢٤٧.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٣٠/ ٦٤٣.

(٢) مفردات القرآن، الفراهي ص ٢٠٠.

(٣) التفسير الميسر ص ٥٧٦.

(٤) التحرير والتلوين، ابن عاشور ٣٠/ ٥٤٠.

درجتين مائة عام^(٦).
والدرك في اللغة: أقصى قعر الشيء^(٧).
فالدركة: المنزلة في الهبوط، فالشيء
الذي يقصد أسفله تكون منازل التدلي إليه
درجات^(٨).

فلذلك الدرجات لأسفل.

فنخلص من ذلك أن الدرجات
والدرجات يتفقان في أنهما منازل وطبقات.
ويختلفان في أن الدرجات لأسفل،
والدرجات لأعلى.

فائدة مهمة:

ورد في الاستعمال القرآني إطلاق لفظ
الدرجات على منازل الجنة والنار، وذلك
في ثلاث آيات من كتاب الله، في قوله:
﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ
مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِمُصِيبٍ ﴿١٣٢﴾ هُمْ
دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢-١٦٣].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أهل
الخير وأهل الشر درجات، يعني: متفاوتون
في منازلهم ودرجاتهم في الجنة، ودرجاتهم

قال الضحاك: الدرج إذا كان بعضها فوق
بعض، والدرك إذا كان بعضها أسفل من
بعض^(١).

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم:
«درجات الجنة تذهب علواً، ودرجات النار
تذهب سفلاً»^(٢).

وقال الراغب الأصفهاني: «الدرك
كالدرج، لكن الدرج يقال اعتباراً بالصعود،
والدرك اعتباراً بالحدور؛ ولهذا قيل:
درجات الجنة، ودرجات النار»^(٣).

وعلى ذلك: فدرجات الجنة: منازل
ومراقٍ بعضها فوق بعض.

ودرجات النار: منازل بعضها تحت
بعض.

ويرجع هذا إلى أن الدرج في اللغة:
مراتب بعضها فوق بعض^(٤)؛ فالشيء
الذي يقصد أعلاه تكون منازل الرقي إليه
درجات^(٥).

وقد ورد في السنة الصحيحة أن درجات
الجنة مائة درجة، فعن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (في الجنة مائة درجة، ما بين كل

(٦) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة الجنة،
باب ما جاء في صفة درجات الجنة، ٤/ ٦٧٤،
رقم ٢٥٢٩.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».
وصححه الألباني في صحيح الجامع،
٧٨١/٢، رقم ٤٢٤٥.

(٧) لسان العرب، ابن منظور ١٠/ ٤٢٢.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/ ٢٤٤.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٢٥١.

(٢) التخويف من النار، ابن رجب ص ٦٩.

(٣) المفردات، الراغب ١/ ٣١١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور ٢/ ٢٦٦.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/ ٢٤٤.

المنافقين، وهذا في قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

ولكن ورد في السنة ما يدل على أن الدرك الأسفل فيه أشد العذاب.

فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك، ويفضب لك؟ قال: (هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)^(٤).

ففي هذا الحديث ما يدل على أن الدرك الأسفل فيه أشد العذاب؛ لجعله صلى الله عليه وسلم إياه ضدًا للضحاح أو كالضد له «والضحاح أريد به القليل من العذاب، مثل الماء الضحضاح»^(٥).

وقد ورد عن الضحاك بيان عدد دركات النار وأسمائها والأصناف التي تسكن هذه الدركات.

قال الضحاك: للنار سبعة أبواب، وهي سبعة أدرك بعضها على بعض، فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا، ثم يخرجون منها،

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قصة أبي طالب، ٥٢/٥، رقم ٣٨٨٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي، ١/١٩٤، رقم ٢٠٩.
(٥) لسان العرب، ابن منظور ١٠/٤٢٢.

في النار»^(١). وفي قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢].

قال الطبري في تفسير هذه الآية: «ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله إياها، ويشبه بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر»^(٢).

وفي قوله: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيهمَ أعمالهمَ وهمَ لا يظلمون﴾ [الأحقاف: ١٩].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية: «أي: لكل فريق من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم»^(٣).

وعلى ذلك فيكون المقصود بالدرجات في الآيات الثلاث: هي المنازل دون اعتبار لما توصف به من ارتقاء أو هبوط، فإذا أضيفت إلى أصحابها صارت درجات الجنة، ودركات النار.

أسماء الدركات وعددها وسكانها بين القرآن والسنة الصحيحة:

لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة تسمية دركات النار ولا عددها، ولا تحديد أصناف أهل النار الذين يسكنون هذه الدركات إلا فيما ذكره القرآن عن الدرك الأسفل من النار، وبيان أن هذا الدرك منزل

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/١٥٨.
(٢) جامع البيان، الطبري ١٢/١٢٥.
(٣) فتح القدير، الشوكاني ٥/٢٥.

أخبرنا القرآن أن مصير المنافقين في الدرك الأسفل من النار، أي: في أدل منازل العذاب وأسفلها؛ وذلك يرجع لأسباب: الأول: لأن كفرهم أسوأ الكفر؛ لما حَفَّ به من الرذائل (٣).

الثاني: أنهم جمعوا مع الكفر الاستهزاء بالإسلام وبأهله (٤).

الثالث: أنهم كانوا يطلعون على بعض أسرار المسلمين بما كانوا يظهرونه من الإسلام، وكانوا يخبرون الكفار بهذه الأسرار، فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين؛ فلهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار (٥).

خامساً: أبواب النار:

أخبر الله عز وجل أن للنار أبواباً سبعة. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ لَهَا سَعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٤].

قال ابن كثير: «أي: قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا محيد لهم عنه - أجارنا الله منها - وكلُّ يدخل من بابٍ بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله» (٦).

وفي الثانية اليهود، وفي الثالثة النصارى، وفي الرابعة الصابئون، وفي الخامسة المجوس، والسادسة فيه مشركو العرب، وفي السابعة المنافقون، وهو قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥] (١).

وهذا التقسيم المروي عن الضحاك لم يصح عنه، كما لم يصح تسمية دركات النار على النحو الذي ذكر، والصحيح أن كل واحد من هذه الأسماء التي ذكرت: جهنم، لظى، الحطمة... إلخ، اسم علم للنار كلها، وليس لجزء من النار دون جزء، وصح أن الناس متفاوتون على قدر كفرهم وذنوبهم.

وهذا الترتيب الذي ذكره الضحاك وغيره يحتاج إلى إعادة نظر، فالمجوس عباد النيران ليسوا بأقل جرماً من مشركي العرب، ومع ذلك فالمجوس في طبقة أقل من العذاب، والأولى أن نسكت فيما سكتت عنه النصوص (٢).

وبهذا يتبين أنه لم يرد في القرآن ولا في السنة ما يبين لنا عدد دركات النار، ولا سكان هذه الدركات.

علة تخصيص الدرك الأسفل بالمنافقين:

(١) هذا الأثر ضعيف، لأنه من طريق سلام المدائني، وهو ضعيف الحديث، كما في ميزان الاعتدال ٢/ ١٧٥.

انظر: التخويف من النار، ابن رجب ص ٧٤. (٢) الجنة والنار، عمر سليمان الأشقر ص ١٢٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٥/ ٢٤٤.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/ ٢٥١ بتصرف.

(٥) المصدر السابق بتصرف.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٥٣٦.

وهذه الأبواب تفتح عندما يرد الكفار النار ليدخلوها.

قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

فإذا فتحت أبوابها ورأوا أنهم داخلوها قال لهم خزنتها موبخين: ﴿الَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر: ٧١].

فيقولون مدعين: ﴿بَلَىٰ﴾ [الزمر: ٧١].
فيقال لهم بعد هذا الإقرار: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا قَسَّيْنَا فِي الْأَنْفُسِ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

فإذا دخلوها وقضى الأمر بأنهم ما كانوا فيها تغلق هذه الأبواب عليهم، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَانَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۗ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [البلد: ١٩-٢٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مؤصدة: مغلقة الأبواب، وقال مجاهد: أصد الباب - بلغة قريش - أي: أغلقه (١)(٢).

هل أبواب النار تغلق في الدنيا؟
أخبرنا القرآن أن أبواب جهنم تغلق على أصحابها يوم القيامة، وأخبرتنا السنة الصحيحة أن هذه الأبواب تغلق في الدنيا

(١) المصدر السابق ٨/ ٤٠٩.

(٢) الجنة والنار، عمر سليمان الأشقر ص ١٢٥.

عند قدوم شهر رمضان.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين) (٣).

أسماء أبواب النار:
أخبر القرآن أن أبواب النار سبعة، لكن القرآن لم يعين لنا أسماء هذه الأبواب، ولا بيئتها السنة الصحيحة.

وقد ورد في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه أسماء هذه الأبواب السبعة، لكنه ضعيف لا يثبت (٤).

وقد وردت بعض الآثار عن السلف فيها تسمية هذه الأبواب السبعة، وعينت الأصناف التي تدخل من هذه الأبواب (٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، ٧٥٨/ ٢، رقم ١٠٧٩.

(٤) عن الخليل بن مرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ تبارك وحم السجدة، وقال: [الحواميم سبع، وأبواب جهنم سبع: جهنم، والحطمة، ولظى، وسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم، قال: تجيء كل حم منها يوم القيامة، أحسبه قال: تقف على باب من هذه الأبواب، فتقول: اللهم لا يدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني].

أخرجه البيهقي في البعث والنشور ١/ ٢٦٨-٤٦١، وقال: «هذا متقطع»، والخليل بن مرة فيه نظر»، وأخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ١٠٥-٢٢٥٠ بدون تسمية هذه الأبواب، وقال: هكذا بلغنا بهذا الإسناد المنقطع.

(٥) ورد عن ابن عباس أنه قال: ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾

ألوان العذاب في النار

أخبر القرآن الكريم عن ألوان العذاب في النار منها الطعام والشراب واللباس والسكن، وسوف نبين ذلك فيما يأتي:

أولاً: الطعام:

ذكر الله تعالى أن أهل النار يطعمون فيها طعاماً لا يشبه الطعام إلا في اسمه، ثم يفارقه بعد هذا في كل شيء، فهو لا يسمن ولا يغني من جوع، لا يزيدهم إلا ضعفاً، ولا يزدادون به إلا عذاباً وألماً، قد خبث مذاقه، وأنتن ريحه، ولا فائدة منه.

وقد بين الله في كتابه صنوفاً من طعام أهل النار، نذكر منها:

١. الزقوم.

وهو شجرة تثبت في النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ

الْبَحْرِ﴾ [الصافات: ٦٤].

قال الطبري: «وثمرتها كالرصاص أو الفضة، أو ما يذاب في النار إذا أذيب بها، فتناهت حرارته، وشدة حميته في شدة السواد» (٢).

وهذه الشجرة ثمرتها قبيحٌ منظرها، كأنها في قبحها رؤوس الشياطين، قال الله عنها: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات:

(٢) جامع البيان، الطبري ٤٣/٢٢ باختصار وتصرف.

صفة أبواب النار:

لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يصف لنا أبواب النار السبعة، ولكن ورد في الآثار الواردة عن بعض الصحابة وصف هذه الأبواب:

فقد ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إن أبواب جهنم أطباق بعضها فوق بعض، فيمتلئ الأول، ثم الثاني، ثم الثالث، حتى تملأ كلها (١).

أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٣٦/٤، والدر المنثور ٨٠/٥. والأثر لا يصح عن ابن عباس؛ لأنه من رواية الضحاك، ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة كما في الميزان ٣٢٥/٢، ووردت تسمية الأبواب أيضاً عن ابن جريج والأعمش، كما في الدر المنثور ٨١-٨٢/٥ وقولهما يحتاج إلى دليل.

وعن الضحاك في قوله: ﴿لَمَّا سَعَىٰ أَبْوَابِ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ قال: باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للصابئين، وباب للمجوس، وباب للذين أشركوا - وهم كفار العرب - وباب للمنافقين، وباب لأهل التوحيد، فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى للآخرين أبداً.

انظر: الدر المنثور ٨٢/٥، والأثر لا تصح نسبته إلى الضحاك؛ لأنه من رواية جويبر، وجويبر متروك الحديث كما في ميزان الاعتدال ٤٢٧/١.

وانظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥٣٧/٤.

(١) الدر المنثور، السيوطي ٨١/٥.

[٦٥].

طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٦٥﴾ [الحاقة: ٣٥-٣٦].

والغسلين: هو ما يسيل من صديد أهل النار، وما يخرج من لحومهم^(٢).
«فساكن النار لا يجد له طعامًا فيها إلا ما يخرج من جلود أهل النار من الدم والصديد، وهو شيء كريبه المذاق كريبه الرائحة، لا فائدة فيه، ولا يرجى منه إشباعًا»^(٣).
قال قتادة عن الغسلين: هو شر طعام أهل النار^(٤).

فطعام أهل النار طعام متنّ ربحه، مقرّز تناوله، يشي بسوء الحال، وقبح المآل.

٣. الضريع.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴿٦٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٦-٧].
والضريع: نوعٌ من الشوك لا تأكله الدواب لحبثه، وهو من شر الطعام، وأبشعه وأخبثه^(٥).

فأهل النار إذا طلبوا الطعام جيء لهم بالضريع، وهو كالشوك، مرّ متنّ، لا خير فيه، ولا فائدة منه، فلا يقوي بدنًا، ولا يسد رمقًا، ولا يدفع جوعًا.

قال تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾

وشجرة الزقوم هي الشجرة الملعونة التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيمَ الَّتِي أُرْسِنَتْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُفُوهُهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

فالحاصل أن شجرة الزقوم لها من الصفات أقبحها وأبشعها: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

يقول الرازي: «ومآل الأقوال في الزقوم كونه في الطعم مرًا، وفي اللمس حارًا، وفي الرائحة متنًا، وفي المنظر أسود، لا يكاد أكله يسيغه فيكره على ابتلاعه»^(١).

وقد توعد الله بالزقوم أصحاب النار، وبين أنهم يطعمون منه حتى تمتلئ به بطونهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦].

وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الضَّالُّونَ الْمُكَلَّبُونَ ﴿٥١﴾ لِأَكُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالِقُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الواقعة: ٥١-٥٣].

٢. الغسلين.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَلَا

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/٤١٤ بتصرف.

(٢) جامع البيان، الطبري ٢٣/٥٩١.

(٣) نعيم الجنة وعذاب النار، علي بن نايف الشحوذ ١/٧٣ بتصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٢١٧.

(٥) نعيم الجنة وعذاب النار ١/٧٣.

الزقوم.
 ❊ سوء المذاق وتنن الرائحة، كما في الغسلين.
 ❊ النشوب والغصة وانعدام الفائدة، كما في الضريع.

ثانيًا: شراب أهل النار:

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أربعة أنواع من شراب أهل النار، وكل نوع من هذه الأنواع شديد ألمه، عظيم أثره، عديم نفعه، طويل أمده، وهذه الأنواع هي:

١. الحميم.

قال تعالى: ﴿سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَاقْطَعُ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥].

والحميم: الماء الشديد الحرارة^(٦)، الذي بلغ من حرارته أنه يقطع الأمعاء ويمزقها، يشربه أهل النار رغماً وقهراً، لا يملكون عنه امتناعاً ولا ابتعاداً، بل يشربون منه كما تشرب الإبل العطاش التي تشرب ولا ترتوي لداء أصابها.

يقول تعالى: ﴿فَشَرِبُونَ طَبِيعًا مِنَ الْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤-٥٥].

يقول الرازي معلقاً: «فيه بيان لزيادة العذاب، ومعناه: أي: لا يكون أمركم أمر من شرب ماء حاراً منتناً فيمسك عنه، بل يلزمكم أن تشربوا منه مثل ما تشرب الهيم،

[الغاشية: ٧] (١). قال أبو الجوزاء: وكيف يسمن من كان يأكل الشوك؟! (٢).

ومما ذكر عن طعام أهل النار في القرآن ما ورد في قول الله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

أي: «طعام لا يستساغ أكله، ينشب في الحلق، فلا يدخل ولا يخرج» (٣).
 «والغصة عارض في الحلق سببه الطعام أو الشرب الذي لا يستساغ؛ لبشاعة أو بيوسية» (٤).
 قطعاً الدنيا قد يحدث غصة -أحياناً- فيؤدي، لكن هذا الطعام تلازمه الغصة دائماً وأبداً، غصة تمزق حلقهم كلما طعموه.

فهذه الآية نفت عن طعام النار كل نفع يرجى من ورائه؛ لأن «المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه، ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتتن والخسة» (٥).

ولهذه الأنواع أوصاف، هي:

❊ شدة الحرارة وقبح المنظر، كما في

- (١) صفة النار في القرآن والسنة ١/١٣٩ بتصرف.
- (٢) مفاتيح الغيب، الرازي ٣١/١٤٠.
- (٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٢٥٦.
- (٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٩/٢٧١.
- (٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٩٢١.

(٦) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٢٥٤.

ولحمه، وقيل: الزمهير البارد لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده (٤).

وقد جمع الحافظ ابن كثير بين المعنيين بقوله: «الغساق: هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطيع من برده، ولا يواجه من نته» (٥).

وقد بين الله عز وجل في كتابه أن أهل النار يستبدلون بالشراب الطيب والنسيم البارد حميمًا وغساقًا؛ جزاء لهم على أعمالهم.

قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (١٤) [الأنبياء: ٢٤-٢٥].

وعلى ما ذكر من أن الغساق بارد لا يستطيع من برده نجد أن الله قد جمع عليهم عذاب الحر الشديد بالحميم، وعذاب البرد الشديد بالغساق، «فالحميم يحرق بحره، والغساق يحرق ببرده» (٦).

٣. الصديد.

قال تعالى: ﴿مِنْ زُرَّابِهِمْ جَهَنَّمَ وَسُقِيَ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (١١) [التنجيد: وَلَا يَكَادُ يُسِيقُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ زُرَّابِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ] [إبراهيم: ١٦-١٧].

والصديد: «هو ما يسيل من الدم

وهي الجمال التي أصابها العطش فتشرب ولا ترتوي» (١).

وهذا الحميم من شدته وعظمته أفرد كأنه عذاب وحده، يرد عليه أهل النار بعد تعذيبهم في جهنم.

يقول تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣) [طُورُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ مَانٍ] [الرحمن: ٤٣-٤٤].

والمعنى: «يمشون بين مكان النار وبين الحميم، فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبريد، فلاح لهم الماء فذهبوا إليه، فأصابهم حره فانصرفوا إلى النار، وهكذا يكون عذابهم بهذه الصورة الفظيعة» (٢).

وتؤكد شدة هذا الحميم وعظم ما فيه من العذاب حين نعلم أنه ينبع من عين شديدة الحرارة والغليان، قال تعالى في سورة الغاشية عن الوجوه الخاشعة: ﴿تَشْفَى مِنْ عَيْنٍ مَانٍ﴾ [الغاشية: ٥].

أي: «قد انتهى حرها وغليانها» (٣).

وكل هذا يدلنا على قبح هذا النوع من الشراب وشدة عذابه وألمه عافانا الله منه.

٢. الغساق.

قال تعالى: ﴿هَذَا قَيْدُوقُهُ حَمِيمٍ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧].

والغساق: هو ما يسيل من جلد الكافر

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٩/٤١٥ بتصريف.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٦٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣٨٥.

(٤) جامع البيان، الطبري ٢١/٢٢٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣٠٧.

(٦) الكشاف، الزمخشري ٤/١٠١.

والمهل هو عكر الزيت المغلي شديد الحرارة، وتشبيه هذا الماء بالمهل في سواد اللون وشدة الحرارة، فلا يزيدهم إلا حرارة^(٤). فهو كالمهل في سواده وندته وغلظته وحرارته^(٥).

وقد بينت الآية من آثار هذا الشراب أنه يشوي الوجوه شيئاً والتعبير بالوجه؛ لأنه «أشد الأعضاء تألماً من حر النار.

قال تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]^(٦).

وإذا كان يشوي الوجوه عند الاقتراب منه «فكيف بالحلوق والبطنون التي تتجرعه؟!»^(٧).

ومما يجلي لنا أثر هذا الماء في أهل النار ما ذكره سعيد بن جبير قال: «إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم، فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره، فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود»^(٨).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٥/٥، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٨/١٥، في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٢٦٩/٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٥/٥.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠٩/١٥.

(٧) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٢٦٩/٤.

(٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٥٥/٥.

والجروح من القيح»^(١). وهذا الماء يكون في نفسه صديداً؛ لأن كراهته تصد عن تناوله^(٢).

وقد اشتملت هذه الآية على بيان قبح هذا الشراب وشدة إيذائه بوجوه بليغة، منها^(٣):

• أنه جعل الصديد ماء على التشبيه البليغ في الإسقاء؛ لأن شأن الماء أن يسقى، والمعنى: ويسقى صديداً عوض الماء إن طلب الإسقاء.

• أنه عطف جملة ﴿وَسَقَى﴾ على جملة ﴿مِنَ وِزَابِهِمْ جَهَنَّمَ﴾ لأن السقي من الصديد شيء زائد على نار جهنم، فإسقاؤه من ماء الصديد عذاب فوق دخوله النار.

• أن هذا الصديد يسقاه بعنف فيتجرعه غصباً وكرهاً، وأنه ﴿وَلَا يَكَادُ يُسَيِّغُهُ﴾ أي: لا يقارب أن يسيفه فضلاً عن أن يسيفه بالفعل لقدارته ومرارته، والتقزز والتكره باديان، نكاد نلمحهما من خلال الكلمات.

٤. ماء كالمهل.

قال تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَفِيثُوا يُفَاقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩].

(١) المفردات، الراغب ص ٤٧٧.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٩/٧٩-٨٠ بتصرف.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢١١/١٣.

في ظلال القرآن، سيد قطب ٢٠٩٣/٤.

كما حكم الله على هذا الشراب بأنه ﴿يَسْكَ الشَّرَابِ﴾ [الكهف: ٢٩].

فيا لله ما أقيح هذا الشراب! وما أقيح وصفه ونعته! وهل هناك شراب أقيح من شراب وصفه الله بالقبح والسوء؟! وذكر لهذه الأنواع من الشراب أوصافاً، وهي:

✽ شدة الحرارة.

✽ نتن الرائحة وشدة البرودة.

✽ سواد اللون.

ثالثاً: اللباس:

مما ذكره الله تعالى في القرآن من ألوان العذاب للكفار والمجرمين في النار اللباس، حيث بين تعالى أنه أعد للمعذبين في النار لباساً، هذا اللباس لا يقيهم برداً ولا حرّاً، وإنما لباسٌ يحرق أبدانهم، ويأكل جلودهم، ويذيب لحومهم.

وقد جاء الإخبار عن هذا اللباس في قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أي: فصلت لهم مقطعات من نار، قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي^(١).

وكان إبراهيم التيمي يقول: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ سبحانه من قطع من النيران ثياباً^(٢).

وقد جاء في الحديث أن أول من يكسى من حلال النار إبليس، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول من يكسى حلةً من النار إبليس فيضعها على حاجبه، ويسحبها وهو يقول: يا ثوراه، وذريته خلفه، وهم يقولون: يا ثورهم، حتى يقف على النار، ويقول: يا ثوراه، ويقولون: يا ثورهم، فيقال: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] (٣).

وجاء بيان مادة هذا اللباس في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطْرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

أي: ثيابهم التي يلبسونها عليهم من قطران^(٤)، وهو الذي تظلى به الإبل، وهو ألصق شيء بالنار...^(٥).

وقد جعل ثيابهم من قطران؛ لأنه «شديد

(٢) البعث والنشور، البيهقي ص ٢٩٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٢١/٢١٩، رقم ١٣٦٠٣.

وضعه الألباني في السلسلة الضعيفة، ٣/٢٨٠، رقم ١١٤٣.

(٤) القطران: مادة سائلة تظلى بها الإبل الجرباء، وهو ألصق شيء بالنار.

انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٢٥٦، لسان العرب، ابن منظور ٥/١٠٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/٥٢٢.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٤٠٦.

الحرارة يؤلم الجلد الواقع عليه»^(١)؛ ولأن «النار إذا لفحته قوي اشتعالها»^(٢).

والقطران تجتمع فيه صفات أربع: أنه يحرق الجلد؛ ولذا تطلى به الإبل الجرب، وأنه يسرع فيه اشتعال النار، وأنه أسود اللون، متنن الرياح، فإذا طليت به جلود أهل النار عاد طلاؤه لهم كالسراويل - وهي القمص -؛ لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران وحرقته، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، وتنن الرياح^(٣).

«فمشهد المجرمين اثنين اثنين مقرونين في الوثاق، يمرن صفاً وراء صف، مشهد مذل دال كذلك على قدرة القهار، ويضاف إلى قرنهم في الوثاق أن سراويلهم وثيابهم من مادة شديدة القابلية للاشتعال، وهي في ذات الوقت قدرة سوداء من قطران، ففيها الذل والتحقير، وفيها الإيحاء بشدة الاشتعال بمجرد قربهم من النار»^(٤).

رابعاً: سكن أهل النار:

النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين والمجرمين، فهي سكنهم ومستقرهم، وهي مأواهم الذي لا مأوى لهم سواها، ولا مولى لهم إياها، جعلها الله سجناً لهم، لا يجدون

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٣ / ٢٥٣ بتصرف.

(٢) غريب الحديث، ابن الجوزي ٢ / ٢٥٢.

(٣) الكشف، الزمخشري ٢ / ٥٦٧.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤ / ٢١١٣.

لهم منه مفراً ولا مخرجاً. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٨].

وقال: ﴿وَمَا أَوْلَهُمْ أَلْنَا وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا فَعِمَّتْ أَلَّهُمْ كَفَرُوا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ إِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

وإذا كان السكن غاية تحصيل معاني الطمأنينة والسكينة والراحة، فإن سكن أهل النار ليس فيه شيء من ذلك ألبتة، ففيه يعذبون أشد العذاب، ويلاقون من أنواع المهانة والصغار ما تعجز عن وصفه أكثر أقلام الكاتبتين تشاؤماً، فهو سكن لا راحة فيه، ولا نوم فيه، طعامهم فيه عذاب، وشرابهم فيه عذاب، وثيابهم فيه عذاب، وفرشهم فيه عذاب. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

ويمكننا أن نستخرج من آيات القرآن أهم صفات هذا المسكن من خلال ما يأتي:

١. محيطة بساكنيها.

لما كانت جهنم سجناً لساكنيها فقد

جعلها الله محيطة بهم إحاطة السوار بالمعصم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

والمراد من ضرب هذا السرادق «ألا يكون لهم مخلص منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر إلى ما وراءها من غير النار، بل هي محيطة بهم من كل الجوانب»^(١).

فلا فرجة لهم ينظرون منها إلى ما وراءها من غير النار، ولا هي تطل أحدًا غيرهم، فقد اجتمع عذابها بكامل لهبها ودخانها وشررها عليهم، لا يضيع منه شيء في هواء أو فضاء؛ لأنها محيطة بهم، مغلقة عليهم.

٢. ضيقة على سكانها.

جهنم مسكن لمن قدر الله عليه أن يكون من أهلها، وهذا المسكن على سعته واتساعه إلا أنهم فيها في ضيق، ضيق يحيط بأبدانهم زيادة على الضيق الذي يملأ صدورهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقَوْمُ مِنهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

وقد ذكر بعض العلماء في قوله: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ۗ فِي عَمَدٍ مُّمدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩-٨].

أن العمدة بمعنى القصبة المجوفة تضيق عليهم^(٢).

وإذا كان من «جمع في مكانٍ يجمع بين ضيق المكان وتزاحم السكان، وتقرينهم بالسلاسل والأغلال»^(٣)، فهل بعد هذا عذاب؟! عذاب

٣. مغلقة على سكانها.

أهل النار مقيمون فيها إقامة جبرية لا خيار لهم في الخروج منها إلى غيرها؛ لأنها مغلقة عليهم، فلا يجدون سبيلاً للخروج، ولا طريقاً للخلاص.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]. ومعناه: مطبقة أو مغلقة^(٤).

و«معنى إيصاها عليهم: ملازمة العذاب واليأس من الإفلات منه، كحال المساجين الذين أغلق عليهم باب السجن»^(٥).

وبهذا يسد عليهم كل طريق للفرار إلا طريقاً واحداً وهو الفرار إلى وإد من الحميم. قال تعالى: ﴿يَطْرُقُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

يقول ابن عاشور رحمه الله: «يمشون بين مكان النار وبين الحميم، فإذا أصابهم حر النار طلبوا التبرّد، فلاح لهم الماء، فذهبوا إليه فأصابهم حره، فانصرفوا إلى النار دواليك»^(٦). ففرارهم من عذابٍ إلى عذاب.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٧٩.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٥/٥٢٢.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/٥٤١.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٧/٢٦٤.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/٤٥٩.

(٢) انظر: أضواء البيان، الشقيطي ٩/١٠٢.

١. التوحيد مفتاح المغفرة.

باب مغفرة الذنوب والطمع في تجاوز
الله عنها مفتاحه واحد هو توحيد الله، ولا
يغلق هذا الباب إلا بقفل واحد هو بالموت
على الشرك، وقد جاء بيان هذه الحقيقة في
القرآن في كثير من الآيات، أظهرها قوله
تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ
إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

«فالمشرك قد سد على نفسه أبواب
المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة فلا
تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده
المصائب شيئاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:
٤٨].

وفي الحديث القدسي قال رب العزة:
(ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك
بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة)»^(٢).

٢. التوحيد مفتاح دخول الجنة.

إذا كان التوحيد مفتاح المغفرة فلازم
ذلك أنه مفتاح الجنة، فالجنة مفتوحة أبوابها
للموحدين مهما كثرت ذنوبهم، مغلقة
^(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، باب
فضل الذكر والدعاء والتوبة، ٤/٢٠٦٨، رقم
٢٦٨٧.

سبل الوقاية من النار

بين القرآن الكريم سبل الوقاية من النار
حتى يسلكها العبد للنجاة من النار وعذابها،
وسوف نتناولها بالبيان فيما يأتي:

أولاً: توحيد الله:

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وتنزيهه
عن كل ند وشريك ومثيل، وهو أشرف
المقامات وأعلاها على الإطلاق، وهو رأس
الأمر، وأصل الدين الذي لا يقبل الله من
الأولين والآخرين ديناً غيره، ولأجله أرسل
الله الرسل، وأنزل الكتب، كما قال تعالى:
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهو أعظم حق لله تعالى على عبده،
ففي الصحيحين من حديث معاذ رضي
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا
يشركوا به شيئاً)^(١).

ولما كان توحيد الرب جل جلاله بهذه
القيمة وذاك الشرف كان -لا شك- أعظم
أسباب النجاة من النار، ويتبين ذلك من
خلال ما يأتي:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب
الاستئذان، باب من أجاب بلييك وسعديك،
٦٠/٨، رقم ٦٢٦٧، ومسلم في صحيحه،
كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان،
٥٨/١، رقم ٣٠.

أبوابها أمام المشركين مهما كثرت فضائلهم، فالجنة محرمة عليهم؛ لأنهم اخترقوا حرمة التوحيد، وتنكروا لنعم الله وأفضاله عليهم. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار)^(١).

فالتوحيد من أعظم الأمور التي تكفل له النجاة يوم أن يلقي خالقه، ويقبل على ربه ومولاه، وقد أمر الله كل من يرجو لقاءه ويخاف عقابه بالتخلص من الشرك قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ وَجِدُّكُمْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

يقول ابن عاشور: «المعنى: يوحى الله إلي توحيد الإله، وانحصار وصفه في صفة الوجدانية دون المشاركة، وتفريع ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ١١٠].

هو من جملة الموحى به إليه، أي يوحى إلي بوجدانية الإله، وبإثبات البعث، وبالأعمال الصالحة، فجاء النظم بطريقة

بديعة في إفادة الأصول الثلاثة؛ إذ جعل التوحيد أصلاً لها، وفرع عليه الأصلان الآخران، وأكد الإخبار بالوجدانية بالنهي عن الإشراك بعبادة الله تعالى»^(٢).

وهكذا يظهر ما للتوحيد من أثر عظيم في نجاة العبد يوم القيامة، ووقايته من الجحيم.

٣. التوحيد سبب الأمن في الدنيا والآخرة. الآخرة فيها أهوال جسام وشدائد عظام يشيب من هولها الولدان، والناس فيها سيكونون في فرع عظيم، ورعب شديد.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِّجْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وتوحيد الرب جل وعلا ونفي الشريك عنه من أعظم ما ينجي العبد ويؤمنه في الدنيا قبل الآخرة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك»^(٣).

﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾، أي: «الأمن من عذاب الدنيا بالاستئصال ونحوه، ومن عذاب الآخرة»^(٤).

فلا أمن ولا أمان من النار إلا لمن وحد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، ١/٩٤، رقم ١٥٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/٩.

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري ٢/٨٣.

(٤) التحرير والتنوير ٧/٣٣٣.

حض الله في القرآن على لزوم طاعة الأنبياء والرسول، وبين أنه من أعظم أسباب النجاة في الآخرة.

قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ
يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾
[النساء: ١٥٢].

فالإيمان بالله تعالى وبرسوله واتباعهم، وعدم التفريق بين أحد منهم في أصل الإيمان بهم، يوجب أجرًا عظيمًا بقدر عظمة الواعد سبحانه.

ولاشك أن الإيمان بالرسول عامة واجب لا ينجو الإنسان يوم القيامة إلا بتحقيقه، وقد دلت الآيات الكثيرة على ذلك - كما سبق بيانه - غير أنه من الضروري أن ننبه على أهمية الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم خاصة؛ لأنه خاتم الأنبياء، وتكذيبه يعني: تكذيب كل الأنبياء والمرسلين، ومن كفر به وبما جاء به فقد بين الله تعالى في غير آية أنه من أهل النار، كما بين سبحانه أن طاعته تورث صاحبها جنات النعيم.

وقد اتخذت صور الإثابة المترتبة على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم صورًا عدة، منها:

١. الوعد بالخلود في الجنة.
الخلود في الجنة لاشك من أرفع ما تشرئب إليه الأعناق، ومنتهى ما تصل إليه

ربه وأفرده وأخلص له عمله، وكلما كان العبد أكثر تحققًا بمقام التوحيد كان أكثر أمانًا يوم القيامة ولا شك.

ولما كان التوحيد هو سبب الأمن كان الشرك على نقيضه، يقول جل جلاله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾
[الحج: ٣١].

«هذه هي صورة من تزل قدمه عن أفق التوحيد، فيهوي إلى درك الشرك، فإذا هو ضائع ذاهب بددًا، كأن لم يكن من قبل أبدًا، إنه الهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء؛ إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها، قاعدة التوحيد، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح، وهو لا يمسك بالعروة الوثقى، ولا يستقر على القاعدة الثابتة التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه»^(١).

وهكذا يظهر أن التوحيد هو أعظم أسباب الوقاية من النيران، جعلنا الله من أهل توحيد وطاعته.

ثانيًا: اتباع الرسل:

اتباع الرسل وطاعتهم من أعظم أسباب نجاة العبد من النيران وإسكانه الجنان؛ ولذا

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٢١-٢٤٢٢ بتصرف.

الهمم، وقد وعدنا الله من اتبع الرسول وأطاعه.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

«فهذا الجزاء الحسن قد أعده الله تعالى لمن أطاعه وأطاع رسوله صلى الله عليه وسلم الذي حمل إليه ما أمر الله به وما نهى عنه، إنه جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وإنه الخلود في هذه الجنات والعيش الدائم في نعيمها»^(١).

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

فهذه الجنة العظيمة، الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، أعدها الله لمن آمن واتبع الرسل ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وتأمل كيف أنه خص جل جلاله العرض بالذكر؛ «ليكون أبلغ في الدلالة على فرط اتساع طول الجنة؛ لأنه إذا كان عرضها كعرض السماء والأرض فإن العقل يذهب

كل مذهب في تصور طولها، فقد جرت العادة أن يكون الطول أكبر من العرض»^(٢).

فالإيمان بالرسول واتباعهم وطاعتهم إذا من أعظم ما ينجي العبد يوم القيامة من النار، ويجعله من سكان جنة الأبرار.

٢. صحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

صحبة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين من أعظم الأمور التي قد يتطلع إليها الإنسان، فهي صحبة لأعظم ركب ميمون، ولأجل موكب ظهر في هذا الوجود، وهذه الصحبة الكريمة جعلها الله لمن أطاع النبي صلى الله عليه وسلم، وتقضى خطاه.

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فأنعم به من جزاء! فهل هناك صحبة أعظم من هذه الصحبة؟ بل إن صحبة الفريق الواحد من أعظم ما يبهج النفوس، ويشرح الصدور، فكيف بالمجموع؟!.

٣. غفران الذنوب والوقاية من العذاب. وهذا من الخير العظيم والبركة الكبيرة لطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه.

يقول تعالى: ﴿يَقَوْمًا أٰجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمَنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّمَ مِن

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢/ ٧١٥.

(٢) المصدر السابق ٢٩/ ٢٠٥.

عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ [الأحqاف: ٣١].

فهذه الآية تبين حسرة من أعرض وخسرانه عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لما عين أهوال القيامة، وأنه يتمنى ساعتها أن لو عاد إلى الدنيا؛ ليتخذ مع الرسول سبيلاً «فهي حالة تكشف عن سبب الحسرة التي تملأ قلب الظالم في هذا اليوم، وهو أنه قد كان على طريق مخالف لطريق النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه دعي إلى الإيمان فأبى، ولم يتخذ مع الرسول سبيلاً، بل اتخذ سبيله مع الضالين والظالمين من أمثاله الذين أغووه وأغواهم، فكانوا حزباً على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وهذا ما يشير إليه قوله جل جلاله على لسان هذا الظالم: ﴿لَيْتَنِي لَأُتخذَ فَلانًا خَيْلًا﴾» (٢).

وقال سبحانه أيضًا مبيّنًا ما يتمناه أهل النار وهم يعذبون فيها: ﴿يَوْمَ نَقَلَبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا اطعنا اللهَ وَأَطعنا الرَّسُولَ﴾ [الأحزاب: ٦٦].

«إنهم يتمنون أن لو أطاعوا الرسول لكنها أمنية ضائعة، لا موضع لها ولا استجابة، فقد فات الأوان، وإنما هي الحسرة على ما كان» (٣).

فهذه الآيات وغيرها تبين جميعًا سوء عاقبة من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به، ولم يتبعه فيما أمر به ونهى

فقد بينت هذه الآية الكريمة أن إجابة النبي صلى الله عليه وسلم وطاعة أمره، وتلبية دعوته، مما تغفر به الذنوب، ومما يجير العبد من عذاب الله، وهذا من الخير العظيم، فإنه متى «أجارهم من العذاب الأليم، فما ثم بعد ذلك إلا النعيم، فهذا جزء من أجاب داعي الله» (١).

فطاعة الرسول إذاً سبيل الوقاية من النيران، ونيل السعادة في الدنيا والآخرة. وكما أن طاعة الرسول خلفها خير عظيم فإن عصيانه والكفر به يهلك العبد، ويجعله من أهل النار، وقد جاءت العديد من الآيات التي تحذر من مغبة الكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم، أو تكذيبه وعدم اتباعه.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراَ حَليلاً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِيتٌ﴾ [النساء: ١٤].

وهذه الآية تبين مغبة عصيان النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها مع عصيان الله تدخل صاحبها النار، وتورثه العذاب الأليم فيها.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ حَلَنَ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٣٧﴾ يَا لَيْتَنِي لَأُتخذَ فَلانًا خَيْلًا﴾ [الفرقان:

[٢٧-٢٨].

(٢) التفسير القرآني للقرآن ١٠/ ١١ بتصرف.

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٨٨٣ بتصرف.

(١) تفسير الكريم الرحمن ص ٧٨٣.

فيه، فكان مرده إلى خسران مبين كما أوضحت الآيات الكريمت. ولما كانت طاعة الرسل وحسن اتباعهم سبيل عظيم للوقاية من النيران، كان تكذيبهم من أكثر ما يورد الإنسان النار، ولقد توعد الله المكذبين للرسل بعقوبات أخروية. قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْعَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر: ٧٠-٧٤].

في الحميم، أي: «الماء الذي اشتد غليانه وحره»^(٣). ومما يظهر شدة إهانتهم وإذلالهم ذكر الآيات أنهم يسجرون في النار، أي: «يوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم، ويقال لهم: ﴿أَنْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ﴾» [غافر: ٧٣]^(٤) إنها - كما يقول صاحب الظلال -: «الإهانة والتحقير في العذاب، لا مجرد العذاب»^(٥). وهكذا تظهر شؤم عاقبة التكذيب بالرسل، وأنها سبب العذاب والخزي في الدنيا والآخرة.

٤. فعل الخيرات وترك المنكرات. فعل الخيرات والإكثار من الصالحات من أكثر الأمور التي تقي العبد من النيران، وأما اقتراف المنكرات والسيئات فمن أكثر ما يزوج به في السعير.

قال تعالى مرغبا في فعل الخير: ﴿يَتَّيَبُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. وقال جل جلاله أمرا بالاحترام من بعض المنكرات: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقد ذكر عز وجل في كتابه الكثير من

ففي هذه الآيات بين سبحانه العاقبة الوخيمة لمن كذب بالكتاب وكذب الرسل، وتأمل كيف أن الله قال: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ففي «هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد من الرب - جل جلاله - لهؤلاء»^(١). والمعنى: أنهم سوف يعلمون «سوء عاقبة تكذيبهم لأنبياء الله تعالى، ولكنبه التي أنزلها عليهم»^(٢).

وشرعت الآيات بعد ذلك في بيان عاقبتهم وكيف أنها إلى جهنم، حيث تجعل السلاسل في أعناقهم وأرجلهم، ويسحبون

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٤٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥ / ٣٠٩٦.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧ / ١٥٧.

(٢) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي ١٢ / ٣١١.

ولكن الله جل جلاله لم يجعل معيته جزافاً ولا محاباة ولا كرامة شخصية منقطعة عن أسبابها وشروطها عنده، إنما هو عقد، فيه شرط وجزاء، شرطه: إقامة الصلاة، لا مجرد أداء الصلاة، إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلة حقيقية بين العبد والرب، وعنصرًا تهندييًا وتربويًا وفق المنهج الرباني القويم، وناهيًا عن الفحشاء والمنكر، حياء من الوقوف بين يدي الله بحصيلة من الفحشاء والمنكر.

وإيتاء الزكاة اعترافًا بنعمة الله في الرزق وملكيته ابتداءً للمال، وطاعة له في التصرف في هذا المال وفق شرطه، وهو المالك والناس في المال وكلاء.

والإيمان برسول الله كلهم دون تفرقة بينهم، فكلهم جاء من عند الله، وكلهم جاء بدين الله، وعدم الإيمان بواحد منهم كفر بهم جميعًا، وكفر بالله الذي بعث بهم جميعًا.

وليس هو مجرد الإيمان السلبي إنما هو العمل الإيجابي في نصرته هؤلاء الرسل، وشد أزهم فيما نديهم الله له، وفيما وقفوا حياتهم كلها لأدائه، فالإيمان بدين الله من مقتضاه أن ينهض المؤمن لينصر ما آمن به، وليقيم في الأرض، وليحققه في حياة الناس.

وبعد الزكاة إنفاق عام يقول عنه الله

الخيرات، ورجب في فعلها؛ لتقود العبد إلى جنة ربه، كما ذكر العديد من المنكرات وحذر منها؛ لأنها تقود العبد إلى النار.

وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه المنكرات وتلك الخيرات دون استقصاء لها؛ لأن استقصاءها يطول، ويخرجنا عن المقصود، وإنما هي شارات على منارات.

٥. خيرات وصالحات ينبغي الإكثار منها. إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسول ونصرتهم، والتصدق.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ١٢].

﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ «وعد عظيم، فمن كان الله معه فلا شيء إذن ضده، ومهما يكن ضده من شيء فهو هباء لا وجود -في الحقيقة- له ولا أثر، ومن كان الله معه فلن يضل طريقه، فإن معية الله جل جلاله تهديه كما أنها تكفيه، وعلى الجملة فمن كان الله معه فقد ضمن وقد وصل، وما له زيادة يستزيدها على هذا المقام الكريم.

يَا اللَّهُ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ
فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ
وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا بِرِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرِضْوَانًا
عَنْهُ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٣﴾

[المجادلة: ٢٢].

﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي:
لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمناً
بالله واليوم الآخر حقيقة إلا كان عاملاً على
مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام
بالإيمان وموالاته، وبغض من لم يقم به
ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه.

وهذا هو الإيمان على الحقيقة الذي
وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا
الوصف هم الذين كتب الله في قلوبهم
الإيمان، أي: رسمه وثبته وغرسه غرساً لا
يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك.

وهم الذين قواهم الله بروح منه، أي:
بوحيه ومعونته ومدده الإلهي، وإحسانه
الرباني.

وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه
الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار التي
فيها من كل ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين

تعالى إنه قرض لله، والله هو المالك وهو
الواهب، ولكنه فضلاً منه ومنة يسمي ما
ينفقه الموهوب له - متى أنفقه لله - قرضاً
لله.

ذلك كان الشرط، فأما الجزاء: تكفير
السيئات، والإنسان الذي لا يني^(١) يخطئ،
تكفير السيئات بالنسبة إليه جزاء ضخم،
ورحمة من الله واسعة، وتدارك لضعفه
وعجزه وتقصيره.

وجنة تجري من تحتها الأنهار، وهي
فضل خالص من الله، لا يبلغه الإنسان
بعمله، إنما يبلغه بفضل من الله، حين يبذل
الجهد، فيما يملك وفيما يطيق^(٢).

٦. تحقيق الولاء والبراء.

الولاء والبراء من أعظم الأعمال وأجلها،
وهو الرابطة التي يجتمع عليها المسلمون في
شتى البقاع والأنحاء، وهو من لوازم الإيمان
بالله ورسوله، بل ما يكون العبد خالص
الإيمان بالله ورسوله حتى يوالي في الله،
ويعادي في الله، ويحب في الله، ويبغض
في الله، ويعطي لله، ويمنع لله.

قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ﴾

(١) الوني: الفترة في الأعمال والأمور والتواني،
تقول: فلان لا يني في أمره، أي: لا يفتر ولا
يعجز.

انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى ١٥ / ٣٩٨.
(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢ / ٨٥٧-٨٥٨
باختصار.

أسباب دخول النار

من خلال النظر في مواضع ورود النار في القرآن، وتتبع أسمائها وأوصافها تبين أن هناك العديد من المعاصي التي تكون سبباً في دخولها، منها:

أولاً: الكفر والشرك:

الكفر والشرك أعظم الأسباب التي توردها الإنسان الخلود في الجحيم، وقد جاءت العديد من الآيات في القرآن التي تحدثت عن سوء عاقبة الكفر، وشناعة مصير المشركين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَمُوتُونَ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٦٢﴾﴾ [غافر: ٤٩-٥٠].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كٰفِرٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر: ٣٦].

وتأمل كيف «وقع الإخبار عن نار جهنم

وتختار^(١).

«وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو مع ذلك موادّ لأعداء الله، محبّ لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى لا تفيد شيئاً، ولا يصدق صاحبها»^(٢).

فتأمل -رحمك الله- كيف جمع لهم هذا العمل هذه الجزاءات العظيمة: كتب في قلوبهم الإيمان، وأيدهم بروح منه، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، رضي الله عنهم ورضوا عنه، أولئك حزب الله، فما أعظمه من عمل وما أجله!

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٤٨.

(٢) المصدر السابق.

وَالْمُنْفِقِينَ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٨].

هذا هو الجزاء الذي أعده الله لأهل النفاق والكفر، نار جهنم خالدين فيها، لا يتحولون عنها أبداً، هي حسبهم، أي: هي كل ما لهم عند الله، لا شيء لهم غيرها، ثم من وراء جهنم وعذابها، لعنة الله القائمة عليهم، وعذاب مقيم لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

«إنه مصير يتفق مع ثقله الأرض التي تلصقهم بالتراب، فلا ينطلقون ولا يرتفعون، ثقله المطامع والرغائب، والحرص والحذر، والضعف والخور. الثقله التي تهبط بهم إلى موالة الكافرين، ومدارة المؤمنين، والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهيمن، مذبذبين بين ذلك، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون تهيئة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهيمن، في الدرك الأسفل من النار»^(٣). «وتأكيد الخبر بـ ﴿إِنَّ﴾ لإفادة أنه لا محيص لهم عنه، وإنما كان المنافقون في

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب ٨٣٨/٥ - ٨٣٩.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب ٧٨٥/٢.

بأنها ﴿لَهُمْ﴾ بلام الاستحقاق؛ للدلالة على أنها أعدت لجزاء أعمالهم^(١). جهنم بما فيها أعدت لتكون جزاء لكفرهم، فما أخبثها من عاقبة! وما أبشعها من نهاية! ويين سبحانه أن الكفار والمشركين في نار جهنم خالدين، وأنهم شر البرية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

كما أخير سبحانه أن المشرك يحرم الجنة، وأن مأواه النار، ويشس المصير.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فالمشرك بالله شركاً أكبر مقطوع بحرمانه من الجنة، وخلوده في النار أبداً؛ إذ قضى الله عز وجل بجواز غفرانه كل الذنوب إلا الشرك، فإنه لا يغفره أبداً، قال جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ثانياً: النفاق:

من أكثر أسباب الهلاك التي تورد صاحبها النار؛ ليدوق فيها أشد ألوان الهوان وأخبثها - النفاق.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣١٧/٢٢.

وَسَيَصْلَوْنَ سَوِيرًا ﴿النساء: ١٠﴾.

«وهذا أعظم وعيد ورد في الذنوب يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر»^(٢).

إن مال اليتيم هو نارٌ تحرق كل من يمد إليه يدًا خائنة، أو يدسه في بطنٍ شرهية، فمن أكل منه احترق به في الدنيا، وصلّى به عذاب جهنم في الآخرة^(٣).

خامسًا: أكل أموال الناس بالباطل:

أكل أموال الناس بالباطل من أعظم الذنوب وأخطرها، وهو ذنب يأخذ بناصية صاحبه إلى النار ويثس القرار.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿النساء: ٢٩-٣٠﴾.

قال ابن كثير: «أي: ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديًا فيه ظالمًا في تعاطيه، أي: عالمًا بتحريمه، متجاسرًا على انتهاكه ﴿فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ وهذا تهديد شديد، ووعد أكيد،

الدرك الأسفل، أي: في أدل منازل العذاب؛ لأن كفرهم أسوأ الكفر لما حُف به من الرذائل»^(١).

ثالثًا: أكل الربا:

أكل الربا من أعظم الذنوب التي توبق صاحبها وترديه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٧٥﴾.

فمع محق أموال المرابين وسحقها توعدهم ربهم يوم القيامة بهذه الحال العجيبة.

قال تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ التي هي أشبه ما يكون بحال المجانين، ثم هم من الخالدين في جهنم، عيادًا بالله.

رابعًا: أكل أموال اليتامى:

من الأسباب التي تجعل المرء وقودًا لجهنم أكل أموال اليتامى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٤٤/٥ بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٦٦.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٧٠٨/٢.

فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد»^(١).

سادساً: قتل المؤمن عمداً:

قتل المؤمن بغير حق من أقبح الجرائم وأفحشها؛ لأنها ليست مجرد جريمة قتل لنفس بغير حق «ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العزيزة الحبيبة الكريمة العظيمة التي أنشأها الله بين المسلم والمسلم، إنها تنكر للإيمان ذاته، وللعقيدة نفسها»^(٢).

ولذا توعد الله مرتكبها بعقاب أليم، قال جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ولجرم هذه الفعلة وشناعتها رتب الله عليها جزاءات قلما جمعها في فعلة غيرها في آية واحدة، فقد توعد الله قاتل المؤمن بالخلود في جهنم، وبالغضب عليه، وباللعن له، وبالعذاب العظيم.

«وعلى قدر ما كانت رحمة الله وعفوه عن القاتل خطأً، بقدر ما كانت نعمة الله وغضبه ولعنته على القاتل عمداً؛ ولهذا كان إهلاك هذه النفس المجرمة والقصاص منها في الدنيا هو الحكم الذي يؤخذ به قاتل

النفس المؤمنة عمداً، وإنه لا وجه لاستبقائه في هذه الحياة، ولا داعية لاستصلاحه، فقد وقع عليه غضب الله ولعنته، منذ أول قطرة دم سفكها من دم هذا المؤمن البريء ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَنَنْجِدْ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢]^(٣).

سابعاً: التولي يوم الزحف:

والتولي يوم الزحف من أكبر الكبائر التي تخرج بصاحبها في جهنم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَحَارِبُوا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ۗ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُمْ إِلَّا مَا تَحَرَّفَا لِقَائِهِمْ أَوْ مُتَحَبِّئًا إِلَيْهِمْ فَفَتْحَ اللَّهُ بَكَهَ بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾ [الأففال: ١٦-١٥].

والتولي يوم الزحف يستحق هذا التشديد؛ «لضخامة آثاره الحركية من ناحية، ولمساسه بأصل الاعتقاد من ناحية، إن قلب المؤمن ينبغي أن يكون راسخاً ثابتاً لا تهزمه في الأرض قوة، وهو موصول بقوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، وإذا جاز أن تنال هذا القلب هزة - وهو يواجه الخطر - فإن هذه الهزة لا يجوز أن تبلغ أن تكون هزيمة وفراراً، والأجال بيد الله، فما يجوز أن يولي المؤمن خوفاً على الحياة»^(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/ ٢٧٠ -

٢٧١.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٢/ ٧٣٦.

(٣) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ٣/ ٨٦٩.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٣/ ١٤٨٩ - ١٤٩٠.

وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْفَاقِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ
الَّذِينَ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا آلِ قَيْنٍ ﴿٤٧﴾ [المدرثر: ٤٢-٤٧].

وهذا الحوار يبين «أن الذي سلكهم في سقر هو أنهم لم يكونوا من المصلين، أي: لم يكونوا مؤمنين؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين لكانوا من المصلين، وأنهم لم يكونوا يؤدون حق عباد الله فيما حولهم الله من نعم، فلم يطعموا المساكين، ولم يخرجوا زكاة أموالهم التي منها يطعم المساكين، وأنهم يخوضون مع الخائضين، فلم يتأثموا من منكر، ولم يتخرجوا من فاحشة، بل كانوا مع كل جماعة ضالة، وعلى كل مورد آثم، وأنهم كانوا يكذبون بيوم الدين، أي: يوم القيامة، فلم يؤمنوا بالبعث والحساب والجزاء» (٣).

هذه جملة من الأسباب التي تورط الإنسان الهاوية، وتنتهي بصاحبها في السعير، وبشئ المصير، وبما أنها كذلك فإن الحذر منها والبعد عنها يحفظ الإنسان من النيران، ويقيه شرها، فالله توعده الكفرة والمشركين بالجحيم - كما سبق - ولكنه أيضًا وعد المؤمنين بالجنان، والخير العظيم، قال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤٤﴾

و«في التعبير عن الصد عن العدو والفرار منه بتولية الدبر، تشنيع على من يأتي هذا الفعل وفضح له؛ إذ كان كأنما يكشف سواته لعدوه أو يعطيه دبره» (١).

ثامنًا: الركون إلى الظالمين:

حذر الله جل جلاله من موالاته الظالمين أو الركون إليهم، وبين سبحانه أن من فعل هذا يعرض نفسه لمس النار، قال عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

وذلك لأن الركون إليهم يعني: إقرارهم على ما هم عليه من الباطل والمنكر، وهذا مما يعرض العبد للفتحات جهنم، كما بينت الآية الكريمة، «وأما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون» (٢).

تاسعًا: عدم النهوض بالتكاليف الشرعية:

وهذا ما بينه تعالى في حوار بين أهل الجنة وأهل النار، حين يسأل أهل الجنة أهل النار عن أسباب صليهم الجحيم.

قال تعالى: ﴿مَا سَأَلْتُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْلَا نَكَّ مِنَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْلَا نَكَّ نَطْوَمُ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾

(١) التفسير القرآني للقرآن ٥/ ٥٨١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ١٨ / ٤٠٧.

(٣) التفسير القرآني للقرآن ١٥ / ١٣٠٤.

[التوبة: ٧٢].

وتوعد المكذسين للأموال والمانعين
 حق الله فيها بالسعير، ولكنه وعد المنفقين
 المتصدقين بالخير العميم: ﴿الَّذِينَ
 يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِثْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا
 وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:

[٢٧٤].

وهكذا.. فكل ما هو سبب لدخول
 الجحيم فالبعد عنه يقرب من الجنان
 والنعيم.

موضوعات ذات صلة:

الثواب، الجزاء، الجنة، الحساب، القبر